

أنور السادات

وصيّي

المكتب المصري الحديث

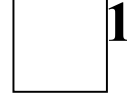
www.anwarsadat.org

## الفصل الأول

لماذا كتبت هذا الكتاب

www.anwarsadat.org

لماذا كتبت هذا الكتاب 7



الإِنسان المصرى فى اعتقادى هو حجر الزاوية الذى ينهض عليه المجتمع كله ،  
إذ أنه يشكل الوحدة الأساسية الأولى للأسرة التى تشكل بدورها المجتمع الكبير ،  
واعتمادا على هذا المنطق البسيط والخطير ، فإنه لا يمكن أن تقوم قائمة حقيقية  
لمجتمعنا المتحضر المعاصر بدون الإنسان الذى يقع على كتفيه وحده مسئولية  
البناء والتطور والتقدم .

ويعنى هذا أن بناء المجتمع مرحلة تالية لبناء الإنسان ، والمجتمع  
الذى يقهر الإنسان هو المجتمع الذى يقضى على نفسه بنفسه . ويشهد التاريخ  
الإِنسانى كله على أن مراحل التحول الخطرة التى عرفتھا البشرية كانت نتيجة  
لأفكار فلاسفة وإنجازات قادة ، وابتكارات مخترعين ، أى أن الإنسان بعقله وروحه  
وجسده كان المحرك الأساسى لتاريخ الحضارة الإِنسانية ولذلك فمن الضرورى أن  
يكون النظام الاجتماعى ، أى نظام ، فى خدمة الإنسان أساسا ، وإذا لم يكن فى  
خدمته ، فمن الحتمى أن يتطور لكى يحقق هذا الهدف الإِنسانى .

8 وصيتى

وإذا كان من المفروض أن يخدم الإنسان المجتمع الذى يعيش فيه فإن هذا لا  
يعنى أن الخدمة من طرف واحد ، وإلا تحولت إلى عبودية مقنعة أو سافرة ، وإنما  
يجب أن تكون الخدمة متبادلة وعندئذ فقط تقوى روابط الإنسان بوطنه ويتعمق  
شعوره بانتمائه إليه ، وبدون هذا الشعور الحيوى بالانتماء يصبح الإنسان بلا هوية  
حقيقية ، والمجتمع بلا شخصية قومية.

من هنا كان إصرارى على قيمة الإنسان المصرى فى الباب الرابع من " ورقة  
أكتوبر " التى أكدت فيها :

إن هدفنا الأسمى من هذه الاستراتيجية الحضارية الشاملة، فى هذه المرحلة التى تنطلق فيها روح رمضان " أكتوبر العظيم " إلى مهمة التقدم والبناء ، هى أن نقيم فى بلادنا الدولة العصرية والمجتمع الحديث ، حتى يستطيع شعبنا أن يحقق من خلالهما ذاته، وينمى طاقاته الخلاقة .

ولا يجوز لنا أن نتهيب لحظة واحدة فى هذه الرحلة التى لا مفر منها إلى المستقبل العريض .

وبما أن الإنسان المصرى هو فى النهاية هدف هذا التقدم ، فإنه منذ البداية هو وسيلة هذا التقدم وهو نفسه الضمان الوحيد لهذا التقدم .

الضمان لأن نطلق إلى هذه الرحلة ، آخذين بأحدث

لماذا كتبت هذا الكتاب 9

معطيات العصر فى شتى المجالات ، دون ما خشية من أن نفقد خلال هذه الرحلة هويتنا ، أو أن ننقطع عن أصلتنا ، أو أن ننسى الفضائل التى كان هذا الشعب دائماً يعتز بها ويمجدها . فهذا الشعب كما أقول دائماً يحمل فى أعماقه قيم حضارات عمرها سبعة آلاف سنة ، وبرغم أن تلك الحضارات كانت تنهض به وتكبو وتنطلق وتنقطع وتتغير وتتجدد ، فإن الشعب كان يعرف فى النهاية دائماً كيف يخرج من هذه الامتحانات كلها محتفظاً بخصائصه الأصيلة ، وفطرته الصافية السليمة

إن من يكتفى بقراءة العناوين، يجد أسماء مختلفة لحضارات متعاقبة، ونظم شتى، وحكام جاعوا من أقصى أنحاء الأرض، ولكن من يتعمق وراء ذلك يجد تلك الصفة العجيبة وهى الوحدة الكامنة خلف كل تلك الحضارات المتعاقبة .

لقد مرت علي هذا الشعب قرون بكاملها، كان فيها لا يكاد يملك شيئاً من أرضه ، ولا من رأيه ولكنه بقي مع ذلك محتفظاً بشخصيته المتماسكة، وبنسيجه الوطني المنسجم الذى أفنى فيه غزاته ومستعمره ومستغليه . وكانت صفته المميزة على الدوام ، والتي كانت تجعله قادراً على هذا الاستيعاب العجيب لهؤلاء الغزاة والمستغلين ، هى أنه كان دائماً شعباً صانعاً للحضارة ، بانياً للعمران . ولم تكن المهارات التى قدمها للعالم أبداً من مهارات الغزو والتدمير، بل من مهارات البناء والتعمير.

## 10 وصيتي

وليس أدل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من أن هذا الشعب كان يمر بالأحداث والتغيرات العميقة محتفظاً بدرجة نادرة من الوحدة الوطنية والانسجام القومى، مازالت مضرب الأمثال فى العالم .

وإن التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة التى لا بد منها فى مراحل معينة من حياة كل أمة حية ، كان يسودها طابع التحول السلمى لا الدموى، وكان الشعب ينجزها ويتجاوزها ثم لا يلبث أن يضم جناحيه بعدها على كل أبنائه .

حتى نظم الاستعمار والغزو التى نجحت فى مناطق أخرى من ان تفرق وتقسم ، لم يكتب لها هذا النجاح فى مصر قط ، بل ظل تكاملها الشعبى والوطنى والجغرافى فوق كل نزاع ، وقد كانت هذه الصفات ذاتها ، هى التى مكنته من أداء دوره التاريخى فى مساندة الأمة العربية التى ينتمى إليها، ورد الغزوات عنها، واحتضان قيمها وتراثها فى ظروف المحن والغزوات والتمزقات .

وعلى الرغم من أن ثورتنا المصرية فى 23 يوليو 1952 كانت نقطة تحول أساسية فى تاريخ العالم المعاصر.

وعلى الرغم من أنها استطاعت أن تتحدى الاستعمار العالمى العتيد وأن تضع نهاية له بتأميم قناة السويس وانسحاب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من بور سعيد وسيناء بعد الفشل الذريع الذى أصيبت به كل منها ، إلا أن الثورة نسيت فى غمرة انتصاراتها دور الإنسان المصرى فيها .

وكان هذا هو الباب الذى فتح فيما بعد على مصراعيه لكى تدخل منه كل السلبيات والنكسات التى اعترضت المسيرة الثورية وشوهت صورتها الحضارية فى نظر أبنائها قبل أن تشوها فى نظر الآخرين .

لعل هذا يرجع أساسا إلى غياب النظرية السياسية الاجتماعية المتكاملة التى تسرى فى فكر الأجيال المتعاقبة ووجدانها، وتتحول إلى منهج للفكر والسلوك الذى يجنب المسيرة الدخول فى مآهات جانبية أو طرق مسدودة .

## 12 وصيتى

صحيح أنه كان فى جعبة الضباط الأحرار المبادئ الستة الشهيرة وهى :

1 - القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة

2 - القضاء على الإقطاع .

3 - القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.

4 - تطبيق العدالة الاجتماعية .

5 - إقامة جيش وطنى قوى .

## 6 - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد نجحت الثورة فى تطبيق المبادئ الخمسة الأولى، وإن كانت الفرصة لم تتح للجيش الوطنى القوى لكى يحارب إلا فى حرب أكتوبر المجيدة فى عام 1973. أما المبدأ السادس الذى ينص على إقامة حياة ديمقراطية سليمة فقد أهملته الثورة تماما، وبالتالي تحول الإنسان المصرى إلى مجرد أداة فى خدمة النظام الثورى مما أدى إلى كل السلبيات والنكسات التى بدأت بانفصال سوريا عن مصر فى 28 سبتمبر سنة 1961، ثم بلغت قمته فى هزيمة ه يونيو سنة 1967 وحتى رحيل أخى وصديق عمرى جمال عبد الناصر فى 28 سبتمبر 1970. وعندما توليت المسئولية وجدت أن نقطة الابتداء الوحيدة التى يمكن أن أنطلق منها تكمن فى كلمة واحدة هى الإنسان المصرى فلقد تمزق الإنسان المصرى فى فترة الستينات وكان ذلك نتيجة حتمية لمأساة التطبيق الاشتراكى فى مصر .

لماذا كتبت هذا الكتاب 13

فقد أصبحت الاشتراكية فى ذلك الوقت مرادفا لفرض الحراسات ، ومصادرة الممتلكات ، وفتح المعتقلات ، وغياب القانون .. وأوشكت هذه الموجة الطاغية أن تطمس معالم شخصيتنا الأصيلة مع ضياع المثل والقيم والتقاليد التى منحت شعبنا الإصرار والصمود والإرادة الصلبة على مر حقب تاريخه الحضارى الطويل .

فلقد فقد الإنسان المصرى إحساسه الأصيل بالانتماء إلى وطنه لأنه أدرك أن هذا الوطن أصبح ملكا لفئة قليلة تجلس على قمة السلطة تماما كطبقة الحكام قبل الثورة وتصدر تفسيراتها للتطبيق الاشتراكى طبقا لمصالحها الشخصية واهوائها الذاتية ، وتحدد بمنتهى الحرية الحدود الفاصلة فى نظرها بين الشعب وأعداء الشعب دون أية مراجعة أو محاسبة .

وبدأ سيل الهجرة إلى الخارج ، خاصة خيرة شبابنا من العلماء والخبراء النابغين ، لعلهم يجدون خارج وطنهم ما عجزوا عن إيجاداه داخله .

وعندما جاء امتحان 5 يونيو 1967 العسير كان من المنطقى جدا أن يسقط النظام ويتداعى لغياب الإنسان المصرى الذى كان من المفروض أن يشكل دعامة الأساسية.. وإذا لم يكن هذا الإنسان غائبا بجسده فقد كان غائبا بعقله وروحه على الأقل .

14 وصيى



3

كان على أن أعيد الإنسان المصرى إلى مصر أو أن أعيد مصر إلى الإنسان المصرى .

وعلى الرغم من أن شاغلنا الأول كان الاستعداد لمواجهة عسكرية جديدة مع عدو يحتل الضفة الشرقية مباشرة من قنالنا ويتربص بنا ولا يكف عن تهديدنا فى قلب بلادنا ، إلا أننى وجدت أنه لابد من اتخاذ الموقف الحاسم الذى يلبى هذه الرغبة العميقة لدى الشعب ، واثقا من فطرة جماهيرنا السليمة ، ومن التفاف الشعب حول قيادته خلال معركة المصير .

كان لابد أن يشعر كل مواطن أنه مسئول عن أقدار بلاده بقدر مسئولية سواه ، وأن قضاياها الأساسية تناقش أمامه علانية ، وأنه لا توجد وصاية تمارس عليه فى الخفاء .

لذلك كان لابد أن يزول الخوف .

وأن تختفى بذور الشك .

وأن تتراجع الحزازات والأحقاد .



وَأَنْ يَحْسَ كُلُّ فَرْدٍ أَنَّهُ آمِنٌ عَلَى يَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَعَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَرَأْيِهِ وَمَالِهِ .

www.anwarsadat.org

## لماذا كتبت هذا الكتاب 15

كان لابد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التي هو مقدم عليها لن تحرر له أرضه فقط ، ولكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحب، وقيما أعلى وأرفع ، كما أنها سوف تحمل له أملا في أن يتطلع بحق إلى مزيد من الديمقراطية ، لن تتحقق له كاملة إلا في وطن قوى عزيز متحرر.

لهذا أصدرت قانون إلغاء الحراسات بعد أن توليت المسؤولية بشهرين فقط . . ، وفي 15 مايو 1971 أعلنت ثورة التصحيح التي لم تقف عند حد تنحية مراكز القوى عن الطريق، ولكنها انطلقت إلى تحقيق جوهرها الأهم بالعمل على إرساء سيادة القانون فأغلقت المعتقلات لأول مرة في مصر منذ أربعين عاما وأعزت كلمة القضاء وأقامت دولة المؤسسات ووضعت الضوابط التي يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ويمارسها في طمأنينة ، وذلك عن طريق إقامة دستور دائم .

وعلى الرغم من أن ثورة التصحيح كان لابد أن يقترن بها ما يحدث مع كل خطوة لإزالة السدود والقيود من مناقشات وتيارات وانفعالات ونحن لا نزال في ظروف الحرب ، إلا أنني كنت واثقا من أن إيجابيات هذا الوضع أكثر من محاذيره، وأن الوحدة العميقة لهذا الشعب خصوصا في ساعات الخطر سوف تصمد للتجربة بل سوف تزيد هذه التجربة مناعة وقوة .

16 وصيتي

كل هذه كانت خطوات عملية من أجل إعادة بناء الإنسان المصرى الذى أهملناه  
طويلا مما أدى إلى الفراغ السياسى والفكرى الذى تعانى منه بصفة خاصة أجيال  
الشباب التى ننتظر منها حمل مسؤولية الوطن فى المستقبل القريب .

إن الشباب اليوم فى حاجة إلى حوار بين الأجيال بدلا من صراع بين الأجيال .  
حوار تنتقل به التجربة وتنقل به المسؤولية إلى أمل لا تصده حواجز.. ولعل أهم  
ملاح هذا الأمل أن يشعر الإنسان المصرى الجديد أن آماله فى وطنه غير مقيدة .

www.anwarsadat.com

واليوم ونحن فى هذا المنعطف من تاريخنا، بعد أن حققنا إرادتنا أمام العالم كله واستعدنا ثقتنا بأنفسنا، وبقواتنا المسلحة التى أصبحت لنا درعا وسيفا، اليوم يأتى دور الجيل الذى يتسلم منا الأمانة، وأقولها بصدق كم نزفت جباهنا مرارة وألما وتمزقا ، فقد عايشنا الاستعمار، والإقطاع والسيطرة الأجنبية الكاملة على اقتصادنا، عايشنا مجتمع الخمسة فى المائة، وقت أن كنا شبابا، ولم يكن ينعم بخيرات هذا البلد إلا هؤلاء الخمسة فى المائة وكنا نحن جميعا من المغتربين ، ولكن عندما قامت ثورة 23 يوليو غيرت هذا الواقع كله .

ولقد شب الشباب ولم يعاصروا كل هذه الأحداث فأصبح كل شىء تحت أيديهم. حقا مكتسبا يطلبون أكثر منه ، وهذا حق لا أعيبه عليهم لأننا لابد أن نتطلع دائما إلى أعلى ، وإنما أريد أن أقول لهم بهذا الكتاب الذى بين أيديهم : لقد آن الأوان لكى يتحملوا مسئوليتهم ولذلك أكدت فى " ورقة أكتوبر " .

#### 18 وصيتى

" ان من حق شبابنا بالذات أن يدرك هذا التقييم الموضوعى للتجربة ليعرف بالدقة ماذا حقق جيلنا ، وماذا كان مقدار جهده ، وما تعرض له العمل الوطنى من نواقص ليتخذ عن اقتناع مكانه الطبيعى فى حركة العمل الوطنى بدلا من أن تمزقه التيارات التى تحاول أن تنكر التجربة جملة وتفصيلا .

ولكن لن يستطيع الشباب أن ينهض بأعباء العمل الوطنى " الجسيمة إلا إذا تخلص من الفراغ الفكرى والروحى والسياسى الذى يعانى منه نتيجة تعطل الممارسة الفكرية والسياسية على مدى العشرين سنة الماضية. وبهذا وحده يستطيع أن يوائم بين حركة العمل الوطنى وبين الظروف المتغيرة التى نعيشها ويعيشها العالم من حولنا .

إن أسلوب العمل الوطنى يجب أن يتغير بتغير الظروف التى يواجهها فى ظل التمسك بالقيم الأصيلة والمبادئ الجوهرية التى ارتضاها الشعب، مع العلم بأن هذه القيم والمبادئ لا تتعارض إطلاقاً مع التغيرات الكثيرة التى شهدناها واقعنا المحلى ومنطقتنا العربية والعالم كله .

وإذا كان مناهجنا الأساسى هو حرية الإرادة الوطنية فى اتخاذ القرار وفى صياغة المستقبل. فإن الممارسة الفعالة لهذه الحرية تقتضى حساباً دقيقاً لكل ما يحيط بنا من ظروف لنقرر لأنفسنا

## لماذا كتبت هذا الكتاب 19

ما هو خليق بتحقيق أهدافنا فى البناء والتقدم . وفى تقديرى أن نقطة البدء هى هنا فى مصر بكل تراثها وقيمها وتقاليدها الحضارية ، فنحن لم نعد نتلقى سلبيات نتائج متغيرات خارجية، بل فتح أكتوبر العظيم عهدا جديدا من شأنه أن يمكن مصر من أن تؤثر فى السياسة العالمية وأن تؤثر بدورها فى حركة التطور بالمنطقة بالتعاون مع اخوتنا فى البلاد العربية .

20 وصيتى

5

ولعل الفراغ السياسى والفكرى الذى عانت منه أجيال الشباب بعد الثورة كان يرجع إلى أن المحاولات التى بذلت فى هذا المجال لم تكن تهدف إلى إيجاد نظرية متكاملة ، بل كانت تسعى فقط إلى تغطية آثار موقف يخشى أن تمتد فتزعزع نظام الحكم ذاته . هكذا صدر الميثاق عام " 1962 " لكى يغطى آثار الانفصال مع سوريا عام 1961، وأذيع " برنامج 30 مارس " عام 1968 لكى يفرغ الشحنة التى امتلأ بها الشعب وأوشكت على الانفجار.. لذلك لم يخرج " الميثاق " و " برنامج 30 مارس " عن حدود الأساليب الإنشائية الرصينة، والعبارات البراقة ذات الرنين الإنسانى الجميل ، التى لم تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلى كلمة واحدة مما قيل فيهما، مما ضاعف من الفراغ السياسى والفكرى عند شبابنا الذى أصبح نهبا للتيارات المستوردة التى تهدف إلى شد مصر إلى فلك هذا أو ذاك . ونسى كثيرون أن لمصر الفلك الخاص بها منذ آلاف السنين عندما ترعرعت على ضفاف نيلها العظيم أول حضارة عرفت البشرية جمعا .

## لماذا كتبت هذا الكتاب 21

ومع هذه الحضارة ترسخ كثير من القيم الإنسانية، والمثل العليا، والتقاليد الأصيلة التي نقلتها عنها كل الحضارات التي جاءت بعدها. ولكن هذه القيم والمثل والتقاليد توارت في السنوات الأخيرة بفعل الضغوط الخارجية الرهيبة التي تعرض لها شعبنا من أجل إيمانه العميق بالقضية العربية.. ولكن بعد انتصار أكتوبر المجيد آن الأوان لتأصيل هذه القيم والمثل والتقاليد التي نبعث أساسا من أرضنا الطيبة .

إن هذا الكتاب يهدف أساسا إلى تأصيل هذه القيم الأصيلة حتى تتحول في أيدي من يعيش وسوف يعيش على هذه الأرض الطيبة إلى أسلحة فكرية يدافع بها عن وطنه ضد أى غزو فكرى، وتمنحه من بعد الرؤية وعمق البصيرة ما يجنبه الميل إلى هذا الاتجاه أو ذاك . فنحن لا نسير إلى يمين أو يسار ولكننا نتقدم إلى الأمام .

لم أقتصر فى كتابى هذا على قراءاتى فى السجن والحياة، بل عبرت به مجال النظرية إلى ميدان التطبيق حيث استعنت كثيرا بخبرتى الشخصية والدروس العملية المستفادة منها .. وغالبا ما تكون التجربة الحية أكثر نبضا وأشد أثرا من القراءات النظرية. فألى الشعب المصرى أقدم بين صفحات هذا الكتاب عصارة ثقافة وخبرة أربعين عاما منذ تخرجى فى الكلية الحربية عام 1938 حتى الآن.. خبرة كلها معاناة ، وألم ، ويأس وأمل، وحنين، وصراع، وكفاح من أجل تلك المحبوبة التى نعشقها جميعا: مصر .